تركيا وفخّ تفجير أنقرة

■ عامر نعيم الياس*

ساعاتٌ بعد تفجير أنقرة الذي أودى بحياة 28 قتيلاً وأكثر من 80 جريحاً وخرج رئيس الحكومة التركية أحمد داود أوغلو ليتّهم حزب «الاتحاد الديمقراطي» الذي يقوده صالح مسلم ومقرّه سورية، بارتكاب الهجوم الأعنف والأكثر رمزية في قلب العاصمة التركية، قائلاً إن بلاده تملك كل الخيارات في سورية. حجّةٌ تدفع التدخل قدماً عملاً بقاعدة سياسية سائدة دولياً وعالمياً وهي الدفاع عن الأمن القومي.

قد تقع تركيا في الفخّ، فمحاكاة ذريعة التدخل «الإسرائيلي» في لبنان في الثمانينات، قد تؤدّي إلى تكرار سيناريو الحرب العالمية الأولى التي أثارها مقتل ولـيّ العهد النمسوي في أوائل القرن العشرين.

هذا ما يهدّد أنقرة التي لا تزال تتراجع عن الخطوط الحمراء التي رسمتها في سورية واحداً تلو الآخر، لكن معركة أعزاز المعقدة تفتح المجال على كلّ الاحتمالات، بما فيها احتمال التدخل العسكري التركي في سورية جواً وبراً. لذلك تبدو موسكو حريصةً أكثر من أيّ وقت مضى على استكمال حصار حزب «العدالة والتنمية» وحشره في الزاوية، وربما نذكر ما حصل يوم أمس من دعوة موسكو مجلس الأمن للاجتماع من أجل إصدار قرار يدعم وحدة سورية وسيادتها على أراضيها ضدّ أيّ تدخل عسكري خارجي، هنا المقصود أنقرة ومن بعدها الرياض التي ترتبط مع الأولى بعلاقةٍ عضوية إن أرادت دخول سورية.

المادة الخامسة من معاهدة حلف شمال الأطلسي تقول بواجب الحلف بالدفاع عن سيادة أحد دوله في حال تعرّضها لعدوان خارجي. فهل سيحصل هذا العدوان من سورية ويتقدّم الحلف للمواجهة؟

تعيش أنقرة اليوم أزمة مزدوجة. فعدم التدخل في سورية يعني إخراج الحزب الإسلامي الحاكم من المعادلة الإقليمية واضطراره للاصطفاف وراء الموقف الدولي مع ما يرتبه ذلك من تداعيات على ملفات أخرى في مقدّمها العلاقة مع الاتحاد الأوروبي، وملف اللاجئين، وملف العلاقة مع واشنطن خلال الأشهر الثمانية المتبقية من ولاية الرئيس الأميركي باراك أوباما، الذي أكدت إدارته على نهجها تجاه سورية القائم على دعم القوى المحلية وعدم التدخل البرّي المباشر، وفق المتحدّث باسم الخارجية مارك تونر.

أما إن تدخلت أنقرة، فهذا يعني أولاً تصاعد التوتر الإقليمي وتدحرج الأمور إلى المواجهة الإقليمية الشاملة في سورية على قاعدة الحرب الوجودية التي تهدّد بضرب مصالح الولايات المتحدة بشكل مباشر عبر حجة غير مباشرة تسبب بها حلفاء واشنطن. هنا تبدو الإدارة الأميركيةُ التي تؤمن بلغة المصالح أحرص وأكثر مباشرة في انتقاد أيّ نيّة للتدخل العسكري التركي العشوائي الفردي في سورية ومثله السعودي بطبيعة الحال. فالسير عكس التيار الدولي القائم على اتفاق ميونخ وبنوده غير مسموح في الوقت الحالي. كما أن الطرف الآخر في المعادلة وهو محور المقاومة، يتشوّق بطبيعة الحال للمواجهة النهائية مع السعودية والتي ستغيّر وجه المنطقة وإن طال الزمن، وفق تعبير السيّد حسن نصر الله في خطابه الأخير بمناسبة ذكرى القادة الشهداء في حزب الله.

حلف شمال الأطلسي بدوره والذي لم يتدخل في السابق لا يريد التدخل اليوم ولا يدعم أيّ تحرّك لحزب «العدالة والتنمية» وأردوغان، خصوصاً مع حيثية التدخل الروسي الحاسم في سورية. فنحن اليوم أمام وضع ميداني مختلف برّاً وجوّاً، فالتدخل البرّي المباشر لا يمكن أن يكونَ فاعلاً من دون غطاء جوّي، وصواريخ «إس 400» و«إس 300» ومنظومات الرادار الروسية المتطوّرة لم تكن لتتواجد على الأرض السورية لولا وجود قرار روسيّ بردع أيّ تدخل أطلسي في سماء سورية. وبالتالي فإن المغامرة التركية في دخول سورية من دون غطاء جوّي بمثابة جنون، إلا إذا كان الرئيس التركي يريد الصدام مع سلاح الجوّ الروسي وهو ما يهدّد وفق رئيس الحكومة الروسية «بحرب عالمية» يدرك الغرب معنى نطقها على لسان القطب الثاني في معادلة الثنائي الروسي الحاكم.

تجد نفسها تركيا اليوم معزولة أكثر من أيّ وقت مضى، والفشل في السياسات الداخلية والخارجية للرئيس التركي يخنق الرجل وقد يدفعه باتجاه ارتكاب حماقة أخيرة في سورية لا تحمد عقباها. لذلك تتحرّك موسكو على كافة المستويات لردع أيّ مغامرة تركية ربما لمصلحة الشعب التركي كما لمصلحة العالم أجمع على أمل إدراك القيادة التركية القاعدة التي تقول إنه «عندما تلعب في ميدان الكبار عليك أن تتوقع مشاكل كبرى».

* كاتب ومترجم سوري

الغرب ينصح أردوغان... فهل يتّعظ؟!

ما زالت السياسات التي يبادر إليها السلطان العثماني الجديد رجب طيب أردوغان، محطّ انزعاج حلفائه قبل أعدائه أو خصومه. لا سيما سياسته إزاء سورية، ودعمه الإرهاب، ورفضه وقف الاعتداء على المواقع الكردية.

في هذا الصدد، تناولت صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية السياسة التركية حيال الأزمة السورية. ويلخّص عنوان زاوية الرأي «على أردوغان أن يخضع سياسته السورية لحسابات الواقع» ما يحمله المقال من نقد لسياسة رئيس تركيا حيال الأوضاع في سورية. وتقول الصحيفة إن التفجير الذي وقع في أنقرة يوم الاربعاء الماضي وأودى بحياة العشرات يظهر كيف أن تركيا بدأت تغرق في دوامة العنف التي تعصف بجارتها الجنوبية سورية.

أما صحيفة «إندبندنت» البريطانية، فأشارت إلى فشل سياسات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان حيال سورية. وأكدت أنّ أردوغان لو واصل انتهاج الاستراتيجية العسكرية ضدّ سورية، فإنه سيقضي على نفسه وعلى تركيا. مضيفة أنّ أنقرة بإشهارها السلاح تطيل الوصول إلى التسوية السلمية في سورية. وأعربت الصحيفة عن اعتقادها، أنّ الوضع في سورية يذكّر بطاولة الشطرنج ثلاثية الأبعاد التي يتحكم بها اللاعبون من دون قواعد.

الكاتب التركي قدري غورسيل بدوره قال إن ما تتعرض له تركيا من هجمات إرهابية، هو نتيجة لسياسة رجب أردوغان الخاطئة تجاه سورية. وفي مقابلة مع صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية، قال الكاتب إنّ أردوغان اعتمد منذ بداية الأزمة في سورية سياسة الباب المفتوح للإرهابيين حول العالم وأنشأ طريقاً سريعاً لهم عبر تركيا إلى سورية، وهذا الطريق أصبح منذ فترة يعمل في كلا الاتجاهين، حيث سمح لهؤلاء الإرهابيين بالدخول إلى سورية والخروج منها بلا قيود، واستخدام الأراضي التركية كقاعدة، وسمح هذا العمق الاستراتيجي للاندماج بين الإرهابيين في العراق وسورية ما أدّى إلى ظهور تنظيم «داعش» الإرهابي في البلدين.

وأضاف الكاتب أنّ تنظيم «داعش» لم يكن قادراً من دون هذا العمق الاستراتيجي على السيطرة على الموصل في حزيران 2014، ولا ضمّ الإرهابيين من المغرب العربي وأوروبا.

FT FINANCIAL TIMES

«فايننشال تايمز»: على أردوغان أن يُخضع سياسته حيال سورية لحسابات الواقع

خصّصت صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية زاوية الرأي الخاصة بها لتناول السياسة التركية حيال الأزمة السورية. ويلخّص عنوان زاوية الرأي «على أردوغان أن يخضع سياسته السورية لحسابات الواقع» ما يحمله المقال من نقد لسياسة رئيس تركيا حيال الأوضاع في سورية.

وتقول الصحيفة إن التفجير الذي وقع في أنقرة يوم الاربعاء الماضي وأودى بحياة العشرات يظهر كيف أن تركيا بدأت تغرق في دوامة العنف التي تعصف بجارتها الجنوبية سورية.

وتذكّر الصحيفة قراءها بأن أردوغان قد تنبّأ عام 2011 بأن «الانتفاضة الشعبية في سورية ستسقط نظام الرئيس» وهي النبوءة التي ثبت عدم صحتها بحسب الصحيفة.

فسورية - والحديث لا يزال لـ«فايننشال تايمز» - يتنازع السيطرة على أراضيها أكثر من جهة ومن بينها الجهاديون الذين يسيطرون على نصف أراضيها.

وترى الصحيفة أن سعي أردوغان إلى إسقاط نظام بشار الأسد أدّى إلى أن تمسي تركيا ممراً للجهاديين الذي يقصدون سورية في وقت تدخّلت روسيا لدعم الأسد.

وتحذّر الصحيفة من أن الحديث عن إرسال تركيا قوات برّية إلى سورية قد يجرّ حلف شمال الأطلسي إلى مواجهة عسكرية مع روسيا.

وتختم الصحيفة المقال بالقول إنه يجب على واشنطن أن تطمئن أنقرة حيال أهمية الدعم الأميركي للأكراد في سورية في المواجهات ضدّ تنظيم «داعش» الذي تراه «فايننشال تايمز» الخطر الأكبر في المنطقة.

لكن الصحيفة تعود وتقول إنه يجب على الرئيس الأميركي أيضاً أن يحدّ من التطلعات الانفصالية لحلفائه الأكراد لكي تطمئن أنقرة.

THE INDEPENDENT

«إندبندنت»: أردوغان هُزم في سورية والهجوم العسكري سيدمّر تركيا

أشارت صحيفة «إندبندنت» البريطانية إلى فشل سياسات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان حيال سورية. وأكدت، لو واصل أردوغان انتهاج الاستراتيجية العسكرية ضدّ سورية، فإنه سيقضي على نفسه وعلى تركيا. مضيفة أنّ أنقرة بإشهارها السلاح تطيل الوصول إلى التسوية السلمية في سورية.

وأعربت الصحيفة عن اعتقادها، أنّ الوضع في سورية يذكّر بطاولة الشطرنج ثلاثية الأبعاد التي يتحكم بها اللاعبون من دون قواعد.

ولفتت الصحيفة إلى أن مهمة مجموعة دعم سورية العاملة تحت إشراف الأمم المتحدة في وضع حد للعنف، تواجه صعوبات كثيرة بسبب التحريض العسكري من قبل أنقرة. وأضافت: لقد حانت الفرصة الأخيرة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان لتغيير شيء ما في الحرب السورية، إذ إن استراتيجيته في إسقاط الرئيس السوري بشار الأسد باءت بالفشل بعد التدخل الروسي.

وبينت أن أكثر تهديد مشؤوم أطلقته تركيا هو الإعلان عن إمكانية بدء عملية برية في سورية لمحاربة تنظيم «داعش» الإرهابي، إلا أن هذه العمليات موجهة فعلياً ضد الأكراد وسعيهم إلى إقامة حكم ذاتي قرب الحدود التركية فيما تلقى الخطط التركية تأييداً من السعودية ووزير دفاعها محمد بن سلمان الواثق من نفسه، ولكن غير الراضي فعلياً عن الحرب السعودية في اليمن".

كما أشارت الصحيفة إلى أنه بغضّ النظر عن تصريح رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو في وقت سابق بأن أنقرة لا تملك خططاً فورية لتنفيذ عملية برية في سورية، إلا أن التعزيزات العسكرية التركية عند الحدود مع سورية، واضحة.

وختمت الصحيفة مقالها بالقول إن أردوغان يملك إغراء الدخول في المواجهة في الأزمة السورية، إلا أنه لو فعل ذلك، فسيقضي على نفسه وعلى تركيا.

LE FIGARO

«لوفيغارو»: سياسات أردوغان حيال سورية مسؤولة عن الهجمات الإرهابية التي تتعرّض لها تركيا

أكد الكاتب التركي قدري غورسيل أن ما تتعرض له تركيا من هجمات إرهابية، هو نتيجة لسياسة رجب أردوغان الخاطئة تجاه سورية.

وقال الكاتب في مقابلة مع صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية أنّ أردوغان اعتمد منذ بداية الأزمة في سورية سياسة الباب المفتوح للإرهابيين حول العالم وأنشأ طريقاً سريعاً لهم عبر تركيا إلى سورية، وهذا الطريق أصبح منذ فترة يعمل في كلا الاتجاهين، حيث سمح لهؤلاء الإرهابيين بالدخول إلى سورية والخروج منها بلا قيود، واستخدام الأراضي التركية كقاعدة، وسمح هذا العمق الاستراتيجي للاندماج بين الإرهابيين في العراق وسورية ما أدّى إلى ظهور تنظيم «داعش» الإرهابي في البلدين.

وأضاف الكاتب أنّ تنظيم «داعش» لم يكن قادراً من دون هذا العمق الاستراتيجي على السيطرة على الموصل في حزيران 2014، ولا ضمّ الإرهابيين من المغرب العربي وأوروبا. فأردوغان منح هؤلاء الإرهابيين الحرّية المطلقة للمرور عبر الأراضي التركية إلى سورية، ثم تجاهل عن قصد إنشاء شبكات إرهابية على الأراضي التركية. وكان لا بدّ لهؤلاء الإرهابيين في نهاية المطاف أن يضربوا تركيا.

واعتبر الكاتب أن أزمة المهجّرين السوريين جاءت نتيجة لسياسة أردوغان الهادفة إلى ابتزاز أوروبا. لافتاً إلى أن إعطاء المال لأردوغان لن يمنع ظاهرة الهجرة إلى الدول الأوروبية، كما أن تقديم آنجيلا ميركل المستشارة الألمانية المال لأردوغان يمثل خضوعاً لابتزازه ولن يحلّ أيّ شيء.

وشدّد الكاتب على أنّ سياسة أردوغان تجاه سورية فشلت فشلاً ذريعاً ولكن الأسوأ ربما لا يزال قادماً ومن الممكن أن تكون العواقب أشدّ وطأة بالفعل، إذا ما استمر في سياسته.

وأوضح الكاتب أن أردوغان استخدم مقولة «العثمانية الجديدة» لجذب الأتراك المحافظين كما أنه أراد السيطرة على كامل شرق المتوسط من خلال إنشائه سلسلة من الأنظمة التي تهيمن عليها جماعة الإخوان المسلمين من مصر إلى سورية ولكن هذه السياسة فشلت مع ما شهدته مصر عام 2013 حيث أطيح بالرئيس المخلوع محمد مرسي.

وأضاف الكاتب أنّ أردوغان يسعى إلى بناء شرعيته من الماضي العثماني ويفعل كل شيء ليحلّ رموز العثمانية القديمة محلّ رموز الجمهورية التركية. وببنائه القصر الضخم في أنقرة ومسجد ضخم على أعلى تلة في اسطنبول، فإنه يحاول أن يخلق رموز نظام جديد.

وتابع الكاتب: من أجل تغيير الدستور وإقامة نظام رئاسي، أطلق أردوغان العنان لحرب أهلية شرق تركيا، ما أسفر عن تدمير بلدات بكاملها ومقتل المئات وتشريد الآلاف. لافتاً إلى أن أردوغان يقوم بتقليص الهوية المشتركة إلى انتماءات عرقية أو دينية للشعب لضمان ديمومة هيمنته على السياسة التركية حتى لا تكون هناك فرصة قادرة على استبدال حزب «العدالة والتنمية» وهذا وضع خطير جداً بالنسبة إلى تركيا.

وأشار الكاتب إلى أنّ أردوغان خدع الغرب ولم تكن أبداً لديه النيّة الصادقة لجعل تركيا عضواً كاملاً في الاتحاد الأوروبي. مبيّناً أنه بقبول أوروبا نقاش انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي عام 2004 ثم إعادة فتحه من دون جدول زمني حرم الاتحاد الأوروبي من كل وسائل الضغط على تركيا وفشل في فرض إطار أكثر صرامة لمنع النظام الاستبدادي، وهذا يوجب على الاتحاد أن يضع الاستراتيجية الصحيحة للتعامل مع نظام أردوغان، وإلا ستشهد أوروبا قريباً مزيداً من اللاجئين السوريين والعرب، إضافة إلى اللاجئين الأتراك الفارين من نظام أردوغان الجديد.

The Boston Globe

«بوسطن غلوب»: واشنطن مستمرّة في دعم الجماعات الإرهابية في حلب إعلامياً

رأى الكاتب الأميركي ستيفن كينزر أن العالم سيتذكّر أن تغطية وسائل الإعلام لما يجري في سورية ستكون من أكثر الأحداث المخزية في تاريخ الإعلام الأميركي.

وقال كينزر في مقال نشرته صحيفة «بوسطن غلوب» الأميركية، إن التقارير المنشورة عن حدوث مجازر في مدينة حلب أحدث مثال على ذلك حيث سيطرت المجموعات المسلحة على جزء كبير من المدينة وبدأت حكمها بالقمع ومنعت الأطفال من الذهاب إلى المدارس ودمّرت المعامل ونقلت بعضها إلى تركيا من أجل دفع العمال للاختيار بين حمل السلاح أو البطالة.

وأضاف كينزر: إن أهالي حلب رأوا أخيراً بارقة أمل مع بدء الجيش السوري وحلفائه إخراج المسلحين منها الذين لجأوا إلى إحداث الفوضى والدمار من خلال إمطار الأحياء السكنية بالصواريخ غير الموجّهة وأسطوانات الغاز.

وأشار كينزر إلى أن ما يجري في حلب لا ينسجم مع رواية واشنطن ووسائل الإعلام الأميركية التي تصرّ على الدفاع عن المسلحين وتبرّر تزويدهم بالسلاح.

وقال كينزر: إن الضغوط المالية على وسائل الإعلام دفعت معظم الجرائد والمجلات وشبكات التلفزة الأميركية إلى تقليص طواقم مراسليها الخارجيين والاعتماد على الأخبار الجاهزة ومعلومات وزارتي الدفاع والخارجية، إضافة إلى البيت الأبيض وخبراء مراكز الأبحاث، وهو ما يصعّب الوصول إلى المصداقية.

وأضاف كينزر: هناك مراسلون يتحلّون بشجاعة مذهلة في مناطق الحرب وهم يحققون شكلاً من التوازن مع التقارير التي تكتب في واشنطن، كما أن تقاريرهم تشكل في أحيان كثيرة بقعاً مضيئة في ظلام حجب المعلومات.

وانتقد كينزر قيام بعض وسائل الإعلام بالترويج لـ«جبهة النصرة» على أنها تتكوّن من «ثوار» أو «معتدلين»، وتصوير السعودية على أنها تساعد «المقاتلين من أجل الحرّية»، بينما هي في الحقيقة الراعي الرئيس لتنظيم «داعش» الإرهابي.

وأشار كينزر إلى أن تركيا أدارت منذ سنوات عملية إدخال المقاتلين الأجانب الراغبين بالانضمام إلى المجموعات المسلّحة في سورية، ولكن الولايات المتحدة لا ترغب برؤية ذلك، لأنها تريد المحافظة على علاقاتها الجيدة بتركيا.

وقال كينزر: ربما نسامح السياسيين على تزوير أفعالهم السابقة، وربما نبرّر للحكومات ترويجها الرواية التي تعتقد أنها الأفضل بالنسبة إليها. أما الصحافة فيفترض أن تبقى بعيدة عن نخب السلطة ونزعتها المتأصلة للكذب.

وأضاف كينزر إن جهل الأميركيين بما يجري في سورية أكثر خطورة من جهل باقي الشعوب. لأن الولايات المتحدة تتصرّف كقوة دولية تملك من القوة ما يمكّنها من تدمير الدول، ويمكنها فعل ذلك بدعم شعبيّ، لأن عدداً من الأميركيين يكتفون بالرواية الرسمية وهذه الرواية في سورية الآن هي: «قاتلوا الحكومة السورية وروسيا وإيران وانضموا إلى الأصدقاء الأتراك والسعوديين».

وأكّد كينزر أن هذه الرواية بعيدة بشكل مرعب عن الواقع، وتؤدّي إلى إطالة أمد الحرب وإلى زيادة معاناة السوريين.

صحافة عبرية

التخلّص من أحياء كفرعقب وقلنديا وتسليمها للسلطة

كتب شلومو أفنيري في صحيفة «هاآرتس» العبرية: قرار مؤتمر «حزب العمل» تأييد اقتراح اسحق هرتزوغ لكسر الجمود السياسي، خطوة هامة للتغلب على الجمود الفكري الذي يميّز منذ سنين أحزاب الوسط واليسار في «إسرائيل». منذ أكثر من عشرين سنة بعد اتفاقات أوسلو، التي شكلت اختراقاً تاريخياً في العلاقات بين «إسرائيل» والفلسطينيين. حان الوقت للاعتراف بأنّ الطريق إلى الحل الوسط التاريخي بين الحركتين الوطنيتين طويل ويستوجب مراحل انتقالية، في بعضها أحادي الجانب. ليس سهلاً للمعسكر السياسي الذي خطّ على علمه الإيمان بأن مجرد العودة إلى طاولة المفاوضات ستضمن تحقيق الأهداف السياسية المرغوب فيها، أن يفهم أن الواقع أكثر تركيباً من ذلك وأنّ حلّ الدولتين للشعبين - بقدر ما هو الطريق الوحيد لضمان مستقبل الصهيونية في المدى البعيد - لن يتحقق دفعة واحدة.

مفهوم لماذا يعارض اليمين هذه الاقتراحات. مفهوم أقل الاعتراض على خطط هرتزوغ من الجانب اليساري للخريطة السياسية. فأمس فقط، اتّهم اليسار المتطرّف «حزب العمل» في أنه «ليكود 2»: كيف يمكن الاعتراض على خطوات تقترح صراحة تغيير الاتجاه بدلاً من الوضع الراهن الحالي ولهذا فإن حكومة «الليكود» تشجبها بكل لسان؟

أحد الاقتراحات الأكثر عملية التي طرحها هرتزوغ - والذي يمكن أن يطبق حتى تحت الحكومة الحالية - محاولة نقل الأحياء الشمالية لشرق القدس لسيطرة السلطة الفلسطينية. أما الاعتراض على هذه الخطوات من جانب أجزاء من اليسار فيشهد على أن أصحاب المواقف التي تبدو ليبرالية ويسارية يعانون أحياناً من العمى السياسي لا بل الأخلاقي أيضاً.

مثلما الحال دوماً، فإن قليلاً من التاريخ والسياق لن يضر. إحدى الخطوات المتهورة وعديمة الحكمة التي اتخذتها «إسرائيل» فور حرب الايام الستة كانت تعريف واسع للمجال الذي طبق عليه القانون والقضاء «الإسرائيليين» في القدس؛ بتعبير بسيط: ضمّ شرق القدس الأردني. معقول ومفهوم بأنه لم تنطلق تقريباً في حينه في «إسرائيل» أصوات عارضت هذا الضمّ؛ ولكنه تضمّن ليس فقط البلدة القديمة وأحياء كالشيخ جراح، تشرف على الطريق إلى جبل المشارف، بل سلسلة طويلة من القرى شمال القدس. وضمّ هذا الاصبع الذي يبرز من قلب القدس شمالاً، نبع من الرغبة لضمّ المطار الأردني في قلنديا («مطار عطروت») في نطاق دولة «إسرائيل»، وجعله مطاراً دولياً للقدس. ولكن بضمّ الأرض ينضمّ أيضاً السكان الذين يسكنون فيها، ونتيجة لذلك أصبح بضع عشرات الالاف الآخرين من الفلسطينيين مقيمين «إسرائيليين» يحملون بطاقات هوية «إسرائيلية». كل عرب شرق القدس ليسوا مواطنين بل مقيمين، ولكن مكانة الاقامة تمنحهم سلسلة طويلة من الحقوق، أولاً وقبل كل شيء في مجال التأمين الوطني.

لقد فشلت فكرة تحويل المطار الصغير في قلنديا إلى مطار دولي، سواء بسبب ظروف الأرض أم لأنه لم تكن أيّ دولة مستعدة لأن تعترف بالسيطرة «الإسرائيلية» عليه واستقبال الرحلات الجوية الدولية المنطلقة منه. ومع ذلك، فعلى مدى سنوات عدّة، اعتبر الحجم الواسع للأرض التي ضُمّت لـ«إسرائيل» ظاهرة هامشية ولم تنل اهتماماً عاماً.

أما اليوم، فالواقع مختلف. القرى شمال القدس، والتي لم تكن أبداً جزءاً من نسيجها المديني، أصبحت أحياء سكنية مكتظة، سواء بسبب التكاثر الطبيعي أم لأنه انتقل اليها عدد من الفلسطينيين من مناطق الضفة الغربية التي لم تضمّ. ويسكن فيها اليوم نحو 200 ألف فلسطيني (نحو نصف السكان الفلسطينيين في الاراضي البلدية للقدس).

من ناحية القانون «الإسرائيلي»، فإنّ هذه أرض «إسرائيلية» بكل معنى الكلمة، ولكن الجدار الأمني، الذي بُني من دون مراعاة المكانة القانونية للأرض، قطعت معظمها عن القدس وجعلتها عملياً أرضاً سائبة.

من لا يعرف القدس عليه أن يعرف هذا بالشكل الأكثر وضوحاً: بين القدس ورام الله الآن أرض سائبة (قلنديا وكفرعقب)، ليست تحت سيطرة السلطة الفلسطينية، ولكن السيطرة «الإسرائيلية» فيها هي وهم تام. رغم إعلانات البلدية، فإنها لا توفر الخدمات لـ200 ألف من السكان هم رسمياً سكان القدس. وليست شاحنات القمامة التابعة للبلدية ومراقبيها فقط لا يدخلون إلى هذه المنطقة بل الشرطة والجيش أيضاً. معظم مواطني «إسرائيل» لا يعرفون أنّ هناك ثقباً أسود كهذا بيننا وبين مناطق السلطة - وبالتأكيد ليسوا على وعي بأنّ المواطن «الإسرائيلي» اليهودي الذي يدخل إلى هذه المنطقة يعرّض حياته للخطر، حتى وإن كانت هذه المنطقة رسمياً تحت السيادة «الإسرائيلية».

لا سبب يجعلنا لاعتبارات جنون العظمة غير الواقعية لمن رسموا حدود القدس في 1967 أن نواصل الوضع الحالي. فهو لا يضيف أمناً إلى «إسرائيل» (بل العكس) ويبقي عدداً كبيراً من السكان بلا أيّ حماية وبلا سيطرة ناجعة. وبالتأكيد من يقلق على الحفاظ على الغالبية اليهودية في القدس عليه أن يؤيد كلّ فكرة للانفصال عن هذه المنطقة وسكانها والسماح للسكان الفلسطينيين هناك بأن يعيشوا تحت حكم السلطة الفلسطينية.

من الصعب أن نفهم المعارضين من الجانب اليساري لفكرة الانفصال عن هذه المناطق، فالحديث يدور في معظم الحالات عن أشخاصت يعارضون ضمّ شرق القدس ويؤيدون الانسحاب «الإسرائيلي» من معظم أراضي الضفة إن لم يكن منها كلها. فباسم أيّ مبدأ يعارضون خطوة تحرّر نحو ربع مليون فلسطيني من الضمّ الذي فرضته عليهم «إسرائيل» في 1967 ويسمح لهم بأن يعيشوا بهذا الشكل أو ذاك تحت السيطرة الفلسطينية منذ اليوم، بدلاً من أن يضطروا لانتظار الحلّ الشامل الذي من الواضح للجميع أنه بعيد؟

السبب لهذا الموقف الغريب من بعض دوائر اليسار مفهوم، ولكنه مثير للشفقة: فالالتصاق بالحل الشامل الخيالي هنا والان يجعلهم يؤيدون الوضع الراهن. مثلما في حالات أخرى، ما يعتبر الحل الافضل والأكثر تطوّراً هو عدو ما هو ممكن.

إن حقيقة أن رئيس الوزراء تحدث في هذا الاتجاه - بخلاف رأي رئيس بلدية القدس الذي لديه اعتبارات أخرى - تبرز إمكانية أن يكون هذا الموضوع من المحتمل تعاون بين الحكومة والمعارضة الرئيسة. الحل بالطبع ليس بسيطاً: فمن الصعب أن نرى السلطة الفلسطينية تؤيده (لماذا التسهيل على إسرائيل؟)؛ كما ستكون حاجة لضمان الحقوق التي راكمها سكان هذه المنطقة على مدى السنين في التأمين الوطني. كل هذا ليس بسيطاً. ولكن حتى لو كان هذا صعباً ومعقداً، فهو ممكن.

يدور الحديث عن مصلحة «إسرائيلية» واضحة وإعطاء إمكانية لمئات آلاف الفلسطينيين للتحرّر من السيطرة «الإسرائيلية» المباشرة التي فرضت عليهم. إذا تمت هذه الخطوة، فهي ستوضح أنّ المصالح «الإسرائيلية» والفلسطينية ليست بالضرورة متعارضة الواحدة مع الأخرى، وأنه يمكن البحث عن الوسائل لالتقائها، حتى لو كان هذا صعباً. أما معارضة أجزاء في اليمين وأجزاء في اليسار هذه الخطوة، فتثبت أن نقطة التوازن توجد بين المتحمّسين الايديولوجيين في الطرفين المختلفين من الخريطة السياسية. من يسعى إلى الوصول لحلول ملزمة، ليس عليه فقط أن يكرر الشعارات التي تبدو جميلة، بل أن يواجه أيضاً بشكل براغماتي وواقعي الواقع الذي يكون أحياناً مركّباً ومليئاً بالتناقضات.

تقرير

سورية... ميدان الحرب الأكثر تعقيداً في العالم منذ عقود

وصف المعلق الأميركي ديفيد اغناطيوس في تقرير نشرته صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية الحرب في سورية، بأنها وصلت إلى النقطة الحرجة.

ويقول اغناطيوس إن لوم الرئيس الأميركي على أخطائه الماضية في ما يتعلق بسورية قد يرضي النفس، وهو يستحق اللوم، لكن هذا ليس سياسة. واصفاً الحرب في سورية بأنها ميدان الحرب الأكثر تعقيداً الذي شهده العالم منذ عقود، وعلى الولايات المتحدة وحلفائها التفكير مليّاً في أيّ خطوة سيتّخذونها.

ويدعو الكاتب الولايات المتحدة إلى التحرك نحو تطبيق اتفاق وقف إطلاق النار، الذي توصل إليه وزير الخارجية جون كيري مع نظيره الروسي سيرغي لافروف الأسبوع الماضي في ميونيخ، ويقول: نعم إنها محاولة صعبة، وتعتمد على حُسن نيّة روسيا، لكنها تقدم فرصة لإنهاء معاناة الشعب السوري، وتحمي الأرواح، ويجب محاولة تطبيق الاتفاق، وفي حالة فشل الدبلوماسية، فما سيأتي بعد سيكون سيئاً على الجميع.

وينقل التقرير عن سفير دولة الإمارات في واشنطن يوسف العتيبة، قوله: إنها اللعبة المتوفرة الآن. في وصف لدبلوماسية كيري، وأضاف العتيبة: لا أرى استراتيجية أخرى غير ما يقوم به كيري.

وتجد الصحيفة أنه في حال واصلت روسيا «خرقها وقف إطلاق النار، واستمرت بقصف المدنيين»، فإنه ينبغي على واشنطن وحلفائها تركيز غضب المجتمع الدولي على روسيا. ويقول اغناطيوس إنه قد يكون كيري متفائلاً إلى حدّ الإفراط عندما توصل إلى اتفاق ميونيخ، لكن الروس وقّعوا عليه، ويحب أن يكونوا مسؤولين في حال فشله.

ويشير الكاتب إلى أنه «في الكابوس السوري»، فإن أي خطوة صغيرة تعدّ إنجازاً، ولهذا علينا ألا نتجاهل ما جرى من إرسال مواد الإغاثة إلى خمس مناطق محاصرة قرب دمشق، خصوصاً أن المساعدة الإنسانية هي جزء من اتفاقية ميونيخ، وقال المسؤولون الأميركيون إن بعض القوافل تحركت داخل بعض البلدات يوم الأربعاء، وهي خطوة أولى وهشة تجاه تخفيف التصعيد، لكنها علامة إيجابية.

ويرى اغناطيوس أن وقف العمليات العدائية، التي تفاوض حوله كيري، كان يجب أن يسري مفعوله يوم الجمعة، لكنه لن يبدأ، و«السبب أن الروس واصلوا غاراتهم»، ولأن «المعارضة السورية» قالت، وبوضوح، إنها لن تستسلم بعد، ولأنها ضعيفة في فهم تردّدها للموافقة على الهدنة، لكنه أمر غير صحيح، فيجب انتهاز أيّ فرصة لتقليل حدّة العنف، ولفتح مجال للنقاش السياسي.

ويذهب الكاتب إلى أن المعركة حول حلب هي فوضى وخليط من مقاتلين وقوى أجنبية، ففي منطقة صغيرة هناك القوات التابعة للنظام، التي تلقى دعماً من الروس وإيران، وهناك المقاتلون الأكراد، الذين تدعمهم الولايات المتحدة، وتقوم تركيا بقصف الأكراد، وهناك المقاتلون السوريون، الذين تدعمهم السعودية والاستخبارات الأميركية، إضافة إلى «جبهة النصرة» والفصائل المتحالفة معها، وأخيرا تنظيم «داعش» الذي يريد التخلّص من الجميع.

ويعتقد اغناطيوس أن الوقف الكامل للأعمال العدائية شبه مستحيل، وهذا ليس لأن كيري وضع ثقته الكاملة بالروس، لكن يجب على الجماعات المقاتلة أن تنظم نفسها، فالمقاتلون سيصوّتون بأقدامهم من خلال التحالف إما مع «جبهة النصرة» أو تنظيم «داعش». ويجب على السعودية أن تضغط على «المعتدلين»، وتقنعهم بالموافقة على دعم وقف النار بعيداً عن الإرهابيين، وفي حال استمرّ قصف الروس للمقاتلين حول حلب، بحسب ما يريدون، فإنهم سيقضون على أيّ أمل لهدنة، وهنا علينا لوم روسيا إن وقفت أمام تخفيف العنف.

ويفيد التقرير بأن الولايات المتحدة لديها النفوذ العسكري والتفوق على روسيا كي تتقدّم إلى الأمام، وهذا قادم، خصوصاً بعد عرض كل من السعودية والإمارات العربية إرسال قوات خاصة إلى سورية تحت قيادة أميركية كاملة، وهناك مناقشة جارية للاتفاق على التفاصيل، إلا أن الإمارات لديها استعداد لتدريب المقاتلين السوريين في «المعارضة» لنظام بشار الأسد، وهو ما يغطي ثغرة في الاستراتيجية الأميركية، وقد تكون هذه القوات جزءاً من الهجوم على تنظيم «داعش» في الرقة.

وتلفت الصحيفة إلى أن الحملة ضد تنظيم «داعش» تتواصل، ولا يزال حلفاء أميركا فيها هم عناصر ما يطلق عليها قوات حماية الشعب التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي، وتمت إعادة تسميتها تحت اسم «قوات سورية الديمقراطية».

ويكشف الكاتب عن أنه في هذا الأسبوع تحرّك ستة آلاف مقاتل للهجوم على الشدادي، وهي بلدة تبعد 50 ميلاً عن الرقة، مشيراً إلى أن القوة تضم 2500 من أبناء العشائر العربية، الذين يبلغ عددهم سبعة آلاف من مجمل عدد «قوات سورية الديمقراطية»، الذي يقدّر بأربعين ألف مقاتل. ويشير إلى الموقف التركي من الأكراد، إذ قرّرت أنقرة قصف وحدات حماية الشعب التي تعدّها إرهابية.

ويخلص اغناطيوس إلى أن الحرب في سورية وصلت إلى مرحلة حرجة وحساسة، وسيكون أيّ خطأ من تركيا أو روسيا كارثياً، ولم يفت الوقت كي تقوم الولايات المتحدة بعمل ما هو صحيح: بناء إطار سياسي وعسكري لسورية الجديدة.